

٩ - وقفات بعد موت العلماء

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ... أَمَّا بَعْدُ:

فَمَعَاشِيرَ الْمُسْلِمِينَ:

لَمَّا كَانَ لِلْحَوَادِثِ الْمُؤَلِّمَةِ آثَارٌ بَلِغَةٌ فِي نُفُوسِ الْمُصَابِينَ بِهَا، وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَتْ تِلْكَ الْحَوَادِثُ مُتَعَلِّقَةً بِالذِّينِ وَرَفَعَ رَأْيَتِهِ؛ لَمَّا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، كَانَ لَا بُدَّ مِنْ وَقَفَاتٍ مَعَ ذَلِكَ الْحَدَثِ، تُخَفِّفُ الْمُصَابَ، وَتُطَمِّنُ النُّفُوسَ، وَتُزِيلُ الشُّبُهَةَ، وَتُدْفَعُ تَلْيِيسَ إِبْلِيسَ.

مَعَاشِيرَ الْمُسْلِمِينَ:

لَقَدْ كَانَ مَوْتُ شَيْخِ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ سَمَاحَةِ الشَّيْخِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ابْنِ بَازٍ فَاجِعَةً كَبِيرَةً، فَلَقَدْ كَانَ لِذَلِكَ الْحَدَثِ الْجَلَلِ الَّذِي أَصَابَ مُجْتَمَعَنَا خَاصَّةً وَمُجْتَمَعَاتِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً؛ كَانَ لَهُ آثَارٌ ظَاهِرَةٌ فِيمَا يُكْتَبُ وَيُسْمَعُ وَيُرَى، وَلَنَا جَمِيعاً وَقَفَاتٌ مَعَ تِلْكَ الْفَاجِعَةِ:

الْوَقْفَةُ الْأُولَى:

أَنَّ الْمَوْتَ سُنَّةٌ مَاضِيَّةٌ فِي النَّاسِ {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [سورة آل عمران: ١٨٥]، قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (يُخْبِرُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ عَاماً، يَعُمُّ جَمِيعَ الْخَلِيقَةِ، بِأَنَّ كُلَّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [سورة الرحمن: ٢٦، ٢٧]، فَهُوَ تَعَالَى الْحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالْجَنُّ وَالْإِنْسُ يَمُوتُونَ، وَكَذَلِكَ الْمَلَائِكَةُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَيَنْفَرِدُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ الْقَهَّارُ بِالدَّيْمُومَةِ وَالْبَقَاءِ، فَيَكُونُ آخِرًا كَمَا كَانَ أَوَّلًا. وَهَذِهِ الْآيَةُ فِيهَا تَعْزِيَةٌ لِجَمِيعِ النَّاسِ، فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى أَحَدٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ حَتَّى يَمُوتَ، فَإِذَا انْقَضَتِ الْمُدَّةُ، وَفَرَّغَتِ النُّطْفَةُ الَّتِي قَدَّرَ اللَّهُ وَجُودَهَا مِنْ صُلْبِ آدَمَ، وَانْتَهَتْ الْبَرِيَّةُ، أَقَامَ اللَّهُ الْقِيَامَةَ،

وَجَارَى الْخَلَائِقَ بِأَعْمَالِهَا، جَلِيلَهَا وَحَقِيرَهَا، كَثِيرَهَا وَقَلِيلَهَا، كَبِيرَهَا وَصَغِيرَهَا، فَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) انتهى كلام ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَكَمَا جَاءَتِ التُّصُوصُ فِي عُمُومِ الْمَوْتِ لِكُلِّ أَحَدٍ، فَقَدْ جَاءَتِ تُصُوصٌ فِي مَقَامِ مَوْتِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، قَطْعًا لِلشَّكِّ، وَدَرَاءً لِلشُّبْهَةِ {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [سورة الزمر: ٣٠].

{وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ} [سورة آل عمران: ١٤٤].

{وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} سورة آل عمران: ١١٢ {وَقَتْلُهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ} [سورة النساء: ١٥٥] وَالتُّصُوصُ فِي هَذَا كَثِيرَةٌ.

وَبِكُلِّ حَالٍ: فَمَوْتُ الْأَنْبِيَاءِ دَاخِلٌ ضِمْنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [سورة آل عمران: ١٨٥].

وَأَدْنَى مَقَامًا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، مَقَامُ الْعُلَمَاءِ، فَمَوْتُهُمْ لَيْسَ أَعْظَمَ مُصَابًا مِنْ مَوْتِ الْأَنْبِيَاءِ.

فَمَا شَرُفَتْ مَنَزِلَةُ الْعُلَمَاءِ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْأَنْبِيَاءِ.
الْوَقْفَةُ الثَّانِيَّةُ:

أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى حَافِظٌ لِدِينِهِ وَكِتَابِهِ: {إِنَّا نَحْنُ نُزَلُّنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [سورة الحجر: ٩]، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: (... قَرَّرَ تَعَالَى أَنَّهُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ، وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَهُوَ الْحَافِظُ لَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ وَالتَّبْدِيلِ...) انتهى كلامه رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى.

وَيَكُلُّ حَالٍ: كَمْ مَاتَ مِنْ عَالِمٍ؟ وَكَمْ دُفِنَ مِنْ إِمَامٍ؟ بَلْ قَدْ مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ، وَدَيْنُ اللَّهِ بَاقٍ، مَاتَ ﷺ بَعْدَ مَا بَلَغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ أَتَمَّ بَلَاحٍ، وَبَقِيَتْ أَعْلَامُ الدِّينِ بَعْدَهُ مَرْفُوعَةٌ عَلَى يَدِ رِجَالٍ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ؛ بَلْ قَدْ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ: {وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ} [سورة آل عمران: ١٤٤].

فَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ مَأْمُورًا بِالِاتِّزَامِ بِدِينِهِ، وَمَنْهِيًّا عَنْ رِبْطِ التِّزَامِ بِحَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَلَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، فَكَيْفَ يَمْنَعُ جَعْلَ التِّزَامِ مَرْهُونًا بِحَيَاةِ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ؟

قَالَ الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (وَالْأَدْيَانُ لَا تَزُولُ بِمَوْتِ الْأَنْبِيَاءِ) انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

فَإِذَا كَانَتِ الْأَدْيَانُ لَا تَزُولُ بِمَوْتِ الْأَنْبِيَاءِ، فَمِنْ بَابِ أَوْلَى أَلَّا تَزُولَ بِمَوْتِ الْعُلَمَاءِ.

الوقف الثالث:

أَنَّ الْمَحَبَّةَ الشَّرْعِيَّةَ الَّتِي يُوجَرُ عَلَيْهَا مَنْ أَحَبَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ، هِيَ تِلْكَ الْمَحَبَّةُ الَّتِي تَكُونُ سَالِمَةً مِنَ الْمَحَاضِيرِ الشَّرْعِيَّةِ، كَالْعُلُوِّ فِي الْمَحْبُوبِ، وَازْدِرَاءِ غَيْرِهِ عَلَى حِسَابِ مَحَبَّتِهِ.

وَمِنْ خَطَرِ أَمْرِ الْعُلُوِّ فِي الْمَحْبُوبِ: مَا تَبَتَّ عَنْهُ ﷺ بِقَوْلِهِ: «إِيَّاكُمْ وَالْعُلُوَّ، فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ الْعُلُوُّ»^(١)، وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا} [سورة نوح: ٢٣] قَالَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: (هَذِهِ أَسْمَاءُ رِجَالٍ

(١) رواه أحمد في «مسنده» (١٨٥١) (٣٢٤٨).

صَالِحِينَ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ، فَلَمَّا هَلَكُوا أَوْحَى الشَّيْطَانُ إِلَى قَوْمِهِمْ أَنْ انصُبُوا إِلَى مُجَالِسِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَجْلِسُونَ فِيهَا أَنْصَابًا، وَسَمُّوْهَا بِأَسْمَائِهِمْ، فَفَعَلُوا وَلَمْ تُعْبَدْ، حَتَّى إِذَا هَلَكَ أُولَئِكَ وَنُسِيَ الْعِلْمُ؛ عُيِدَتْ) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ^(١).

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ: لَمَّا مَاتُوا وَعَكَفُوا عَلَى قُبُورِهِمْ، ثُمَّ صَوَّرُوا تَمَاثِيلَهُمْ، ثُمَّ طَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَعَبَدُوهُمْ).
مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ:

وَإِذَا كَانَ الْعُلُوُّ مِنْهَا عَنْهُ فِي مَقَامِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَكَيْفَ بِمَقَامِ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ هُوَ دُونُهُمْ؛ بَلْ لَا يُقَاسُ عَلَيْهِمْ؟

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُطْرُقُونِي كَمَا أَطْرَقَ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانُ^(٢).

الوقف الرابع:

أَنَّ هُنَاكَ صِنْفًا مِنَ النَّاسِ قَدْ لَبَسَ الشَّيْطَانُ عَلَيْهِمْ، وَجَعَلَ مَحَبَّتَهُمْ لِعَالَمٍ مُعَيَّنٍ سُلْمًا لِنَقْصِ الْعُلَمَاءِ الْآخَرِينَ، وَالطَّعْنِ فِيهِمْ، وَهَذَا مَزَلَقٌ خَطِيرٌ، يُؤَدِّي بِصَاحِبِهِ إِلَى الرَّدَى.

ذَلِكَ لِأَنَّ غِيَةَ الْعُلَمَاءِ وَالْقَدَحَ فِيهِمْ جَرِيْمَةٌ كُبْرَى، يَتَعَدَّى ضَرَرُهَا إِلَى فَتَاوَاهُمْ وَكُتُبِهِمْ وَطُلَّابِهِمْ.

فَعَلَى مَنْ بُلِيَ بِهَذَا الْأَمْرِ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ تَعَالَى فِي نَفْسِهِ، وَأَنْ يُقْلَعَ

(١) رواه البخاري (٩٤٢٠).

(٢) رواه البخاري (٣٤٤٥).

عَنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ الْمَشِيئَةِ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَعْرِفَ لِلْعُلَمَاءِ مَنْزِلَتَهُمْ وَمَكَائَتَهُمْ، وَأَنْ يَحْدَرَ مِنْ الْعُقُوبَةِ، إِنَّهُ هُوَ أَصَرَّ عَلَى سُوءِ صَنِيعِهِ.

قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ عَسَاكِرَ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (اعْلَمْ أَنَّ لُحُومَ الْعُلَمَاءِ مَسْمُومَةٌ، وَأَنَّ عَاقِبَةَ اللَّهِ فِيمَنْ انْتَقَصَهُمْ مَعْلُومَةٌ، وَلَمْ يَتَكَلَّمْ أَحَدٌ فِي الْعُلَمَاءِ بِالثَّلْبِ إِلَّا ابْتِلَاهُ اللَّهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ) انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (لَا يُحَكِّمُ لِإِنْسَانٍ آدَى وَلِيًّا، ثُمَّ لَمْ يُعَاجِلْ بِمُصِيبَةٍ فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ أَوْ وَلَدِهِ بِأَنَّهُ سَلِمَ مِنْ انتِقَامِ اللَّهِ لَهُ، فَقَدْ تَكُونُ مُصِيبَتُهُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ أَشَدُّ عَلَيْهِ، كَالْمُصِيبَةِ فِي الدِّينِ مَثَلًا) انْتَهَى كَلَامُهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى.

وَبِكُلِّ حَالٍ:

فَلْيَتَّقِ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَلْيُرَاقِبِ اللَّهَ فِيمَا يَقُولُ، وَلْيَحْدَرَ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ وَتَلْبِيسِهِ، فِي كَوْنِ مَحَبَّتِهِ لِأَحَدِ الْعُلَمَاءِ سَبَبًا لِسُوءِ ظَنِّهِ وَإِطْلَاقِ التُّهْمِ عَلَى غَيْرِهِ.

بَلِ الْوَاجِبُ الدُّعَاءُ لِمَنْ بَقِيَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَأَنْ نَعْرِفَ لَهُمْ مَنْزِلَتَهُمْ وَمَكَائَتَهُمْ، وَأَنْ نَتَوَلَّى الدِّفَاعَ عَنْ سُمْعَتِهِمْ وَشَرَفِ بَضَاعَتِهِمْ، فَكَمْ نَالَ الْعُلَمَاءُ -وَسِينَالُهُمْ- مِنْ طُعُونِ أَصْحَابِ الْأَقْلَامِ الْمَسْمُومَةِ، وَكَمْ مِنْ حَاقِدٍ يَتَرَبَّصُ بِهِمْ وَيَفْرَحُ بِزَوَالِهِمْ.

فَالْحَدَرُ كُلُّ الْحَدَرِ أَنْ تَكُونَ عَوْنًا لِشَيَاطِينِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ عَلَى عُلَمَائِنَا.

فَاللَّهُ اللَّهُ فِي حِفْظِ مَنْزِلَةِ الْعُلَمَاءِ، وَالْحَدَرُ الْحَدَرُ مَنْ تَضْيِيعِ مَنْزِلَةِ الْعُلَمَاءِ، فَذَلِكَ نَذِيرُ شَرٍّ وَفِتْنَةٍ، بَلْ هُوَ عَيْنُ الشَّرِّ وَالفِتْنَةِ.

فَلَنَكُنْ عَوْنًا لَهُمْ بِدُعَائِنَا وَمُلَازِمَتِنَا لِدُرُوسِهِمْ وَنَشْرِ عِلْمِهِمْ بَيْنَ النَّاسِ.

اللَّهُمَّ احْفَظْ لِعُلَمَائِنَا مَكَائَتَهُمْ.

اللَّهُمَّ زِدْهُمْ وَلَا تَنْقُصْهُمْ.

الخطبة الثانية

الحمد لله...

الوقفه الخامسة:

أَنْ تَلْتَفَّ حَوْلَ عُلَمَائِنَا، وَنَهْلَ مِنْ مَعِينِهِمْ، وَتُسْتَفِيدَ مِنْ حِكْمَتِهِمْ، وَذَلِكَ عِلَامَةٌ خَيْرٍ وَفَلَاحٍ وَصَلَاحٍ لِلنَّاسِئَةِ وَغَيْرِهِمْ، وَهُوَ كَذَلِكَ مِنْ تَوْقِيرِ الْعُلَمَاءِ وَمَعْرِفَةِ حَقِّهِمْ وَمَكَائَتِهِمْ.

عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يُجِلِّ كَبِيرَنَا وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفَ لِعَالَمِنَا حَقَّهُ» أَخْرَجَهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ^(١).

فَعَلَى النَّاسِئَةِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ أَنْ يَتَدَارَكُوا مَنْ بَقِيَ مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَيَثْنُوا الرُّكْبَ فِي حَلَقَاتِهِمْ وَدُرُوسِهِمْ، قَبْلَ فَوَاتِ الْأَوَانِ، فَكَمْ مِنْ طَالِبٍ عِلْمٍ تَحَسَّرَ عَلَى مَوْتِ شَيْخٍ أَوْ أَشْيَاخٍ، فَرَطَ وَسَوَّفَ فِي الْأَخْذِ عَنْهُمْ.

وَلَقَدْ كَانَ مِنْ هِمَّةِ سَلَفِنَا الصَّالِحِ -عَلَيْهِمْ رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى- أَنْ يَشُدُّوا رِحَالَهُمْ لِلتَّلَقِّيِّ وَالتَّحْصِيلِ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَكَانُوا يَتَحَسَّرُونَ عَلَى مَوْتِ الشَّيْخِ قَبْلَ الْأَخْذِ عَنْهُ. قَالَ الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (ذِكْرُ مَنْ رَحَلَ إِلَى شَيْخٍ يَتَغَيُّ عُلُوَّ إِسْنَادِهِ، فَمَاتَ قَبْلَ ظَفْرِ الطَّالِبِ مِنْهُ يَبْلُوغُ مُرَادِهِ).

ثُمَّ سَاقَ عِدَّةَ وَقَائِعَ، مِنْهَا: مَا رَوَاهُ يَحْيَى بْنُ مُسْلِمٍ عَنْ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ: (رَحَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقُبِضَ وَأَنَا فِي الطَّرِيقِ).

(١) رواه أحمد في «مسنده» (٢٣٢٩) (٦٩٣٧) والحاكم (٢١١/١).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ دَاوُدَ: (كَانَ سَبَبُ دُخُولِي الْبَصْرَةَ أَنْ أَلْقَى ابْنَ عَوْنٍ، فَلَمَّا صِرْتُ إِلَى قَنَاطِرِ بَنِي دَارَا؛ نُعِيَ ابْنُ عَوْنٍ).

قَالَ ابْنُ دَاوُدَ: (فَدَخَلَنِي مَا أُلَّهِ بِهِ عَلِيمٌ).

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهَبٍ: (دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَإِذَا النَّاسُ مُزْدَحِمُونَ عَلَى ابْنِ سَمْعَانَ، وَإِذَا هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ جَالِسٌ. فَقُلْتُ: أَسْمَعُ مِنْ هَذَا وَأَصِيرُ إِلَيْهِ، فَلَمَّا فَرَعْتُ قَامَ فَأَتَيْتُ مَنْزِلَهُ، فَقَالُوا: هُوَ رَاقِدٌ، فَقُلْتُ: أَحْجُ وَأَرْجِعُ، فَرَجَعْتُ وَقَدْ مَاتَ).
وَيَكُلُّ حَالٍ:

عَلَى طَالِبِ الْعِلْمِ وَالْمُبْتَدِئِ فِيهِ أَنْ يَتَدَارَكَ أَشْيَاخَ بَلَدِهِ فَيَأْخُذَ عَنْهُمْ، وَإِنْ قَوِيَتْ هِمَّتُهُ وَعَزِمَتْهُ رَحَلَ إِلَى غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

قَالَ الشَّعْبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: (لَوْ أَنَّ رَجُلًا سَافَرَ مِنْ أَقْصَى الشَّامِ إِلَى أَقْصَى الْيَمَنِ فَحَفِظَ كَلِمَةً تَنْفَعُهُ فِيمَا يَسْتَقْبِلُهُ مِنْ عُمْرِهِ؛ رَأَيْتُ أَنَّ سَفَرَهُ لَا يَضِيعُ).

فَيَا طَالِبَ الْعِلْمِ:

احْرَصْ عَلَى كِبَارِ الْعُلَمَاءِ قَبْلَ فَقْدِهِمْ، وَسَتَرَى ثِمَارَ ذَلِكَ فِي عِلْمِكَ وَسَمْتِكَ.
الْوَقْفَةُ السَّادِسَةُ:

أَنْ يَسْتَشْعِرَ طَلَبَةُ الْعِلْمِ مَسْئُولِيَّتَهُمْ، وَأَنَّهَا قَدْ تَضَاعَفَتْ، فَيَبْذُلُوا جُهِدَهُمْ، وَيَسْتَفْرِغُوا وَسْعَهُمْ، فِي زِيَادَةِ التَّحْصِيلِ، فَطَالِبُ الْعِلْمِ إِذَا قُبِضَ بَقِي مَكَانُهُ شَاغِرًا، فَكَيْفَ يَمْكَانُ الْعَالِمُ؟ فَكَيْفَ يَمْكَانُ شَيْخُ الْعُلَمَاءِ؟

شَاهِدُ الْمَقَالَ:

أَنْ يُدْرِكَ طَلَبَةُ الْعِلْمِ عِظَمَ الْمَسْئُولِيَّةِ وَالْأَمَانَةِ الْمُلَقَاةِ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ تُجَاهَ مُجْتَمَعِهِمْ وَأُمَمِهِمْ، وَأَنْ يُزَكُّوا مَا وَرَثُوا مِنْ مَشَايِخِهِمْ، فَمِيرَاثُ الْعِلْمِ مَنْفَعَتُهُ مُشَاعَةٌ لِكُلِّ أَحَدٍ، لِحَاجَةِ جَمِيعِ النَّاسِ إِلَيْهَا.

فَاللَّهُ اَللَّهُ فِي اَلْاِحْتِسَابِ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ اَلْخَيْرَ، وَنَشْرِ الْعِلْمِ، وَكَذَا تَحْمُلِ اَسْئَلَةَ النَّاسِ، وَلِيْنِ الْجَانِبِ مَعَ الْجَاهِلِ.
وَمَتَى مَا عَلِمَ اَللَّهُ صِدْقَ نِيَّةِ الدَّاعِي إِلَى اِلِلّٰهِ؛ بَارَكَ لَهُ فِي عِلْمِهِ وَوَقْتِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ.

الْوَقْفَةُ السَّابِعَةُ:

أَنَّ مَحَبَّةَ النَّاسِ وَتَعَاطُفَهُمْ، وَكَثْرَةَ تَشْيِيعِهِمْ لِجَنَازَةِ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِمَّا يَزِيدُ التَّفَاوُلَ بِخَيْرِيَّةِ الْمُجْتَمَعِ، وَأَنَّ عَلَى الدَّاعِيَةِ أَنْ يَحْمَدَ اَللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَمِنْ ثَمَّ يَزِيدَ هِمَّتَهُ وَنَشَاطَهُ فِي نَشْرِ اَلْخَيْرِ، وَالْحِرْصِ عَلَى مُضَاعَفَةِ مَا فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنْ اَلْخَيْرِ، فَفِي النَّاسِ خَيْرٌ كَثِيرٌ.

وَمِنْ شَوَاهِدِ ذَلِكَ: حُضُورُ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَالْإِنْفَاقُ فِي وُجُوهِ اَلْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، وَكَذَلِكَ تَعَاطُفُهُمْ مَعَ عُلَمَائِهِمْ، وَتَأَثُّرُهُمْ بِمَرَضِهِمْ، ثُمَّ مَوْتِهِمْ.
فَهَذِهِ الْأُمُورُ وَغَيْرُهَا تَزِيدُ التَّفَاوُلَ وَالْعَزِيمَةَ فِي نَفْسِ الدَّاعِيَةِ، أَنْ يُسَحَّرَ مَا يَسْتَطِيعُ مِنَ الْجُهُودِ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ وَاَلْخَيْرِ.

اَللّٰهُمَّ اجْعَلْنَا هُدَاةً مُّهْتَدِينَ، اَللّٰهُمَّ اهْدِنَا لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنَّا سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنَّا سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ.
اَللّٰهُمَّ وَفِّقْ عُلَمَاءَ السُّنَّةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، اَللّٰهُمَّ ارْحَمْ أَمْوَانَهُمْ.
اَللّٰهُمَّ ارْحَمْ شَيْخَنَا وَإِمَامَنَا، اَللّٰهُمَّ ارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، واجْمَعْنَا بِهِ فِي جَنَّاتِكَ جَنَّاتِ النِّعَمِ.

اَللّٰهُمَّ وَفِّقْ مُفْتِينَا الْجَدِيدَ، اَللّٰهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي عِلْمِهِ وَعَمَلِهِ، واجْعَلْهُ مُبَارَكًا لِلْعِبَادِ وَالْبِلَادِ.

اَللّٰهُمَّ سَدِّدْ أَقْوَالَهُ وَبَارِكْ فِعَالَهُ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشُّرَكَ وَالْمُشْرِكِينَ.
اللَّهُمَّ وَفِّقْ وُلاةَ أُمُورِنَا وَأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ إِلَى ما فِيهِ صَلَاحُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ.
سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ....